المعالم التربوية في فكر الإمام الرضا (عليه السلام)
- دراسة قرآنيــة تفسيرية –

الدكتور
محمد كاظم حسين الفتلاوي
جامعة الكوفة - كلية التربية

المعالم التربوية في فكر الإمام الرضا (عليه السلام) - دراسة قرآنية تفسيرية

الدكتور
محمد كاظم حسين الفتلاوي
جامعة الكوفة - كلية التربية

المقدمة:

ما انفك أهل البيت (عليهم السلام) أصحاب مدرسة مستقلة في ذاتها فريدة في أسلوبها عميقة في جوهرها وأصالتها، فلم يخضعوا رغم شدة الظروف وحراجتها يوماً إلى الظلمة، فكانوا مصدر كل خير.

وإمامنا الرضا (عليه السلام) – وهو الامتداد الطبيعي لهذه المدرسة المباركة – لقي (من حكام عصره خلال الأعوام العشرين التي عاشها بعد استشهاد أبيه ضروباً من المحن والآلام من نوع آخر، وكان يعاني من وقعها ومرارتها)[1]. فكان أن عاش مدرسة آبائه وأجداده بكل ظروفها وأساليبها لم يتجاوزها قيد أنملة بل كان مطبقاً لبنودها، أميناً على أسرارها ناشراً لآرائها وأفكارها الإصلاحية.

والتربية بطبيعة الحال تمثل الركن الأساس لعملية الإصلاح ووسيلة مهمة لتحقيق أهداف المجتمع وفق فلسفته التي يتبناها، وان القرآن الكريم وسنة المعصوم الركيزة الأساس لهذه الأهداف.

فكان من أسباب اختيار الموضوع أنّ التربية تُعد قوة مؤثرة في حركة التغيير الاجتماعي نحو الأفضل إذا أُحسن توجيهها، وإذا كانت الفجوة كبيرة بين حاضرها والواقع الذي عاشه أسلافنا الكرام فإن ذلك يدفعنا إلى تأكيد أهمية التأصيل بإرجاع القضايا التربوية إلى جذورها في تراثنا الإسلامي، لذا من الضروري أن ننطلق من الواقع ومتغيراته المختلفة، ورصد مشكلاته المتنوعة لتجاوز التخلف، والإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يمثل ذلك النص المعصوم الناطق بالدلالات البنائية المترجمة لآي النص القرآني الكريم.

وتكمن دوافع اختيار موضوع البحث في الفراغ الواضح لتفاسير مختصه – وبحسب تتبع الباحث – في المجال التربوي القرآني، فنلحظ إن (الساحة خالية من تفسير تربوي يوضح أهم هدف للقرآن ويتبنّى النظام التربوي الإسلامي مهمة كبرى قصُرت أمامها الجهود)[٢].

أما أهمية الموضوع: فيشهد عالمنا اليوم العديد من المتغيرات والتحولات في جميع الميادين، لذا من الضروري أن يواكب هذه التغيرات تطورات في الميدان التربوي من حيث أن التربية في القرآن المجيد ليست جزءاً من الدين بل هي جوهره وروحه، ولقد تجلت المعالم السامية للتربية بأجمل صورها وأبهى حللها في السيرة العملية للإمام الرضا (عليه السلام)، وتكمن أهمية الموضوع أيضاً في أنّ المعالم التربوية في فكر الإمام الرضا (عليه السلام) ودراستها بالثقل الآخر (القرآن الكريم) مع الارتكاز في بيان هذه الدراسة بطبيعة الحال على المفسرين، ليكون بذلك عامل لبناء الإنسان وأداة لتوجيهه ونضجه، إذ يمكن بهذه الدراسة لهذين الثقلين العظيمين البلوغ بالإنسان إلى قمة الجمال والكمال، ومن ثم بناء مجتمع متعايش ومتفاهم مقرون بالسلام والسعادة، والحياة في ظل المحافظة على القوانين ومراعاتها، وهي – التربية – أمر من الضروري وجوده لاستمرار الحياة وفق التغيير الناتج من هذه الدراسة على الصعيد الوطني والعالمي.

وان فقدان التربية الصحيحة فاجعة للبشرية، دائماً، وأثبتت التجارب القديمة والمعاصرة كيف تقاتل الناس وسفكوا دماء بعضهم بعضاً بلا مراعاة للحقوق، وكان سبب ذلك التربية الخاطئة لديهم، والتي كانت بطبيعة الحال تفتقد إلى التعاليم السماوية المتمثلة في الثقلين العظيمين.

أما منهج البحث فكان المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى: (وصف الأشياء أو الظواهر أو الأحداث وبيان العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها ووسائلها وتحليلها واخذ العبرة منها وتوقع تأثيراتها المستقبلية)[٣].

خطة البحث: وتحقيقاً للأهداف والأسباب التي دعت إلى اختيار موضوع البحث - (المعالم التربوية في فكر الإمام الرضا (عليه السلام) – دراسة قرآنية تفسيرية -) اشتمل على مقدمة ومطلبين وخاتمة، المطلب الأول كان بعنوان مَعالم التربية الإيمانية (الروحية) في فكر الإمام الرضا(عليه السلام) دراسة قرآنية، والمطلب الثاني فقد كان بعنوان مَعالم التربية الاجتماعية في فكر الإمام الرضا(عليه السلام) دراسة قرآنية، وخاتمة.

ختاماً: لا يدعي الباحث انه بلغ الغاية في بحثه، إذ إن الوقوف على جميع جزئيات المعالم التربوية في فكر الإمام الرضا (عليه السلام) إنما هي مهمة تحتاج إلى جهود أجيال، وتراكم خبرات، فهي كالقرآن الكريم شامله لجميع جوانب الإنسان، إذ إن (كلماته ونصائحه (عليه السلام) التي تفيض بالإيمان وتزخر بالعطاء الخيّر الذي يتسع لجميع الجوانب التي يجب أن تقوم على أساسها الحياة كالأخلاق والتربية والآداب ونحو ذلك مما يفترض بالإنسان المسلم أن يطبقه ويتحلى به ليكون منسجماً مع مبادئ الإسلام بالعمل قبل القول ومن دعاته الصامتين)[٤]، فكان أن قسم الباحث بحثه إلى معلمين يزعم الباحث إنهما من ابرز واهم ما يحتاجه الإنسان (الفرد والمجتمع) في حاضرنا اليوم، وهو المنسجم – كما أسلفنا – مع سبب اختيار البحث وأهميته. والحمد لله رب العالمين

المطلب الأول

معالم التربية الروحية في فكر الإمام الرضا(عليه السلام) – دراسة قرآنية -

من المعلوم إن المنهج الإسلامي في التربية يقوم على أساس إرساء التصور الاعتقادي وجعله المحرك الأول والأكبر في النشاط الإنساني نتيجة (حصول إدراك تصديقي ينعقد في ذهن الإنسان)[٥].

ولكن ليس ذلك الاعتقاد الذي يُعيد الإنسان إلى أصل حيواني، أو تربط وجوده بأصل مادي اقتصادي محض، لا يلحظ للروح فيه مكاناً أو دوراً،

فالإنسان منذ أن نشأ (في حاجة إلى عقيدة تعمّر قلبه،عقيدة تفسر له الحياة وترتبط بينه وبينها، وتشغله بما هو أبعد من شخصه واكبر من ذاته على نحو من الإنحاء)[٦].

ولا يتحقق هذا الإيمان وآثاره بصورة عشوائية لدى الإنسان، فلا بد من وجود مقدمات معرفية تكون عامل ترسيخ لهذا الإيمان، يقول السيد محمد حسين فضل الله: (إن قضية الإيمان والكفر لدى الإنسان هي قضية تحتاج إلى استعمال أدوات المعرفة التي تفتح قلب الإنسان على الحقيقة)[٧].

وذلك إن المنهج الإسلامي لا يرى صحة العقيدة إلا إذا جاءت وليدة تفكير حر وثمرة إقناع تام: فهي أصل الدين وجوهره، وهي عبارة عن إذعان النفس، ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما يكون بالبيان والبرهان، والمقصود بـ(البرهان هو الدليل المؤدي إلى العلم)[٨].

وبهذا يتضح أن بناء الإيمان رصين وراسخ في نفس الإنسان، بخلاف الإسلام الذي ربما يتمثل به الإنسان في ظاهره من دون اليقين في نفسه، فهذا الإسلام الظاهري لا يؤثر في تربية الإنسان وبنائه البناء الصحيح الذي من اجله انزل الله تعالى القرآن المجيد، فلا يُنتظر منه آثار على الواقع إلا إذا اقترن بالإيمان.

وهذا ما يؤكده الإمام الرضا (عليه السلام) في فكره التربوي، ونلتمسه في قوله: (الإسلام غير الإيمان وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن)[٩]، نعم إن إظهار الشهادتين وسائر الأعمال الظاهرة تجعل الإنسان منتمياً إلى المعنى العام للإسلام، فيتحقق بذلك له وعليه سائر الأحكام الشرعية من حصانة لدمه ونفسه، وكذلك أحكام الطهارة البدنية وغيرها من الأحكام المعنية بالظاهر، إلا إن تحقق الآثار التربوية لا تتحقق بالإسلام فحسب؛ فلا بد من إسلام يتبعه إيمان، إذ (ربما كان – الإسلام – عن دوافع متعدّدة ومختلفة بما فيها الدوافع المادية والمنافع الشخصية، إلا أنّ الإيمان ينطلق من دافع معنوي، ويسترفد من

منبع العلم، وهو الذي تظهر ثمرة التقوى اليانعة على غصن شجرته الباسقة!)[١٠].

وقول الإمام (عليه السلام) يدل على هذه المغايرة بين الإسلام والإيمان، وبهذا قد (اتفقت الإمامية على إن الإسلام غير الإيمان، وان كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن، وان الفرق بين هذين المعنيين في الدين كما كان في اللسان، ووافقهم على هذا القول المرجئة وأصحاب الحديث، واجتمعت المعتزلة وكثير من الخوارج على خلاف ذلك، وزعموا ان كل مسلم مؤمن وانه لا فرق بين الإسلام والإيمان في الدين)[١١].

وفي مقاربة قرآنية لفكر الإمام الرضا(عليه السلام) التربوي نلحظ في وضوح جلي حقيقة ما اقره (عليه السلام)؛ وذلك فيما أنكره الله تعالى على الأعراب، وعاب عليهم التمسك بالظاهر (الإسلام) من دون توغل الإيمان المطلوب في نفوسهم، فقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١٢]، فنجد إن الله تعالى في هذه الآية قد نفي فيها (الإيمان عنهم وأوضحه بأنه لم يدخل في قلوبهم بعد وأثبت لهم الإسلام، ويظهر به الفرق بين الإيمان والإسلام بأن الإيمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد، والإسلام أمر قائم باللسان والجوارح...)[١٣].

إذن لا بد من اقتران الظاهر (الإسلام) مع الباطن (الإيمان)، وبهذا الاقتران تتحقق الآثار التربوية المرجوة، وهنا يشير الإمام الرضا(عليه السلام) إلى هذا المعنى من خلال بيان اركان الإيمان، فيقول(عليه السلام): (الإيمان له أربعة أركان: التوكل على الله عز وجل والرضا بقضائه والتسليم لأمر الله والتفويض إلى الله، قال عبد صالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾[١٤])[١٥]، فنلحظ أنّ هذه الأركان معالم إيمانية لا يمكن استحصالها من مجرد الإسلام الظاهري، فلا بد من أن يكون هناك إيمان ومن علامات الإيمان ما حدده الإمام(عليه السلام) في أركان أربعة المارة الذكر، والتي سوف نختصر مضامين هذا المطلب عليها في جزءه الأول والذي سوف يكون

بعنوان علاقة الانسان بربه، والجزء الثاني بعنوان معالم التربية الروحية (البُعد النفسي)، وعلى النحو التالي:

أولاً: معالم التربية الروحية (علاقة الإنسان بربه)

١- التوكل: من المعلوم أن يتوكل كل مؤمن على الله عزوجل حق التوكل، ويجب أن يقرن التوكل بالسعي والنشاط والأخذ بالأسباب الظاهرة، وقد حث القرآن المجيد على التوكل، فقال تعالى: (... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[١٦]، فالتوكل عامل فعال في تربية الإنسان وشد عزيمته، ومن ثم الانحلال من قيود الانهزامية وأولها قيد الخوف، فلا يخشى القوى الاجتماعية المناهضة أن تنحرف به عن العمل بمسؤولياته كإنسان رسالي، بل يستمر على طريق الحق برغم ضغوط الأعداء.

يقول السيد محمد تقي المدرسي: (إن العامل الأساسي الذي سوف يحسم الصراع القائم بين الجاهلية والإسلام هو الخوف، فإذا استرهب الجاهلون جانب المسلمين انهزموا، وهذا ما كان يحدث دائماً، أما إذا تمكن الخوف من قلوب المؤمنين فإن العدو سيهزمهم)[١٧].

كما ونلحظ في نص قرآني آخر؛ ان الله -عز وجل- خلق الخلق لعبادته، وقد قرن العبادة بالتوكل في كتابه في مواضع كثيرة قال تعالى :(فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[١٨]، وقدم العبادة على التوكل؛ لأن التوكل إنما ينفع أهل العبادة، قال الآلوسي: (وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة تنبيه على أن التوكل لا ينفع دونها وذلك؛ لأن تقدمه في الذكر يشعر بتقدمه في الرتبة أو الوقوع)[١٩]، وقال البيضاوي : ((فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) فإنه كافيك وقي تقديم الأمر بالعبادة على التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد)[٢٠].

لم يأمر الله بالتوكل فقط بل أمر مع التوكل بعبادته وتقواه التي تتضمن فعل ما أمر وترك ما حذر، فمن ظن أنه يرضى ربه بالتوكل بدون فعل ما أمر به كان ضالاً، كما أن من ظن أنه يقوم بما يرضى الله عليه دون التوكل كان

ضالاً، بل فعل العبادة التي أمر الله بها فرض، وإذا أطلق لفظ العبادة دخل فيها التوكل وإذا قرن أحدهما بالآخر كان للتوكل اسم يخصه كما في نظائر ذلك مثل التقوى وطاعة الرسول، فإن التقوى إذا أطلقت دخل فيها طاعة الرسول (:).

فهذا الركن التربوي الذي يشير إليه الإمام (عليه السلام) يبعد الإنسان عن اليأس، فلا يقع الإنسان المؤمن المتوكل على الله تعالى، لأنه إذا هم أن ييأس من نفسه جراء تقطع الأسباب، يتذكر أن الله سبحانه وتعالى وليه ووكيله، فتتجدد قوته، فينصره الله تعالى بما يستفيده من الإيمان والذكر والتوكل.

٢- التفويض إلى الله تعالى: من أنفع القيم الإيمانية – التفويض - فهو يرسخ ثقة الإنسان بالله سبحانه فيفوض أمره إلى الله عز وجل ويعلم علم اليقين انه لا ينفعه ولا يضره أحد من الناس ولو اجتمعوا إلا بإذن الله تعالى، ومن كان هذا شأنه تراه تشيع نفسه بالاطمئنان والراحة الجسدية والنفسية والعقلية ومن ثم يحفظه توكله من الاضطرابات وبذلك تكون قيمة الثقة بالله منبع سعادة وصحة الإنسان مضافاً إلى كون هذه التربية علامة من علامات الإيمان الصحيح بالله عز وجل.

ونلحظ ان مفردة التفويض لم تجيء في القرآن الكريم إلا فيما حكاه عن مؤمن آل فرعون من قوله: (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّه)[٢١]، وذلك عندما (وقع أسيراً في قبضة هؤلاء الأشقياء الظالمين، لذلك طلب بشكل مؤدب من خالقه (جلّ وعلا) أن يحميه بحمايته وينقذه ممّا هو فيه)[٢٢].

وهو بهذا – أي التفويض – اعم من التوكل ظاهراً، فهو يعني أن المفوض يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر إلى صاحبه من غير أن يقيمه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكل فإن الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكل، وهو جزء من مقامات العبودية فـ(التوكل ثم التفويض وهو أدق من

التوكل..)[٢٣]، وهذا ما نلحظه جلياً في مناسبة كلام مؤمن آل فرعون الذي بادر بكلامه حينما وقع في الأسر.

وهو المستشف أيضاً من رأي ابن القيم الجوزية، إذ قال: (وهو ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل، فإن التوكل بعد وقوع السبب، والتفويض قبل وقوعه وبعده، وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه)[٢٤].

وقد أكد القرآن المجيد في أكثر من مورد على مفهوم التفويض، منها قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢٥].

يقول الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ) في تفسيرها: (والمعنى إنّ من يعجز عن النفع والضر وكشف الكرب عمَّن يتقرب إليه ولا يتأتّى منه ذلك كيف يحسن عبادته؟! وإنّما تحسن العبادة لمن يقدر على جميع ذلك ولا يلحقه عجز ولا منع، وهو الله تعالى...، وهو القادر على النفع والضّر بما لا يمكن أحد منعه ويمكنه منع كلّ أحد من خيرٍ أو شرّ)[٢٦].

وبهذا يندفع اليأس الذي يمثل الثورة النفسية على الحياة من جانبها السلبي عندما يطغى على وجدان الفرد وتفكيره، فيشعر أن الحياة تختنق في داخله لتتحول الى سجن مظلم يعيش فيه، من دون أن يجد منفذاً للنور أو متنفساً للهواء. فيكون حينئذ الإيمان بالتفويض له الآثار التربوية التي تحفز الإنسان إلى ان يحيا في هذه الحياة مطمئناً هادئاً واثقاً بالله بأنه سبحانه معه ما دام يسير على نهجه ووفق أوامره عزّ وجلّ.

٣- التسليم إلى الله تعالى: التسليم ضياء فإذا ما استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها وازدادت الضائقات وطال ليلها فالتسليم وحده الذي يشيع للمؤمن النور الذي يقيه من التخبط، ومن ابرز عنوانات التسليم الصبر، والصبر فضيلة

يحتاج إليها المؤمن في دينه ودنياه ولا بد أنّ يبني عليها آماله وأعماله ويجب أن يوطن نفسه على احتمال المكاره من دون ضجر وانتظار النتائج مهما بعدت.

فنلحظ أن الإمام الرضا(عليه السلام) في هذا الركن الثالث – كما يرى الباحث- يؤكد على الصبر، والصبر بطبيعة الحال يكون عند الابتلاء، والابتلاء امتحان من الله سبحانه يمحص فيه المسلمين من المؤمنين، وهذا المعنى نلحظه جلياً في نصوص القرآن الكريم، منه في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٢٧].

فنجد إن هذه الآية الكريمة تربي المؤمنين من خلال إخبارهم بـ(أن أمامهم بلاء ومحنة لن تنالوا مدارج المعالي، وصلاة ربهم ورحمته، والاهتداء بهدايته إلا بالصبر عليها، وتحمل مشاقها، ويعلمهم ما يستعينون به عليها، وهو الصبر والصلاة، أما الصبر: فهو وحدة الوقاية من الجزع واختلال أمر التدبير..)[٢٨]، ومن ثم لا ييأس المؤمن ولا يقنط من رحمة الله تعالى ولا يشكو بل يجب أن تربيه المحن وتزيده إيماناً وثباتاً من خلال التسليم إلى أمر الله عز وجل.

٤- الرضا بقضاء الله تعالى[*]: الإيمان بقضاء الله تعالى أحد العوامل المهمة التي تنير طريق الإنسان وتوجهه إلى خالقه العظيم، وان ما من شئ إلا بيده سبحانه، وذلك إن القضاء هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التي ربط بها الأسباب بالمسببات[٢٩]، ومن ثم يعلم الإنسان المؤمن أن مراد الله تعالى من الرضا بقضائه – كما يرى الباحث – ليس باعثاً على الخنوع والنكوص بل هو تربية على الجد والمثابرة، ومن ذلك ما نفهمه من قول الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شئ سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً..)[٣٠].

ويؤكد هذا المعنى من التربية السيد الشهيد محمد باقر الصدر بقوله: (إن المفهوم الإلهي للعالم لا يعني الاستغناء عن الأسباب الطبيعية، أو التمرد على شئ من حقائق العلم الصحيح، وإنما هو المفهوم الذي يعتبر الله سبباً أعمق، ويحتم على تسلسل العلل والأسباب أن يتصاعد إلى قوة فوق الطبيعة والمادة، ولهذا يزول التعارض بينه وبين كل حقيقة علمية تماماً)[٣١]، وبهذه التربية يُفتح المجال واسعاً للاختراعات العلمية وكشف أسرار الطبيعة، إذ هي جارية وفق قوانين ثابتة.

وفي ثنايا القرآن المجيد تشير آيات عدّة إلى هذا المفهوم، نختصر على ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣٢]، فهذا النص القرآني القصير اليسير ليشير الى حقيقة ضخمة هائلة شاملة، مصداقها هذا الوجود كله، حقيقة يدركها القلب جملة وهو يواجه هذا الوجود، ففيها (إلفاتاً لعظمته تعالى، وكبير قدرته، وأن من كانت له تلك النعوت المثلى لجدير أن يُعبد وحده، ويُرهب بأسه، ويُتَّقَى بطشه)[٣٣]، فلا يتعلق القلب بغيره، فبيده سبحانه زمام الامور ومقاديرها صغيرها وكبيرها مما تلحظه الابصار او مما خفي عنها، موجودها وغائبها، فمن آمن بهذا المفهوم لم يكن لليأس اليه سبيلا، وانه سبحانه دبّر كل شئ من قبل خلق الخلق، وجعل لكل شئ قدر.

فعن الإمام الرضا (عليه السلام)عن جده (صلى الله عليه وآله) قال: (إن الله عز وجل قدّر المقادير ودبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفَي عام)[٣٤].

وفي موضع آخر نلحظ هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣٥]، نجد قدرة الله سبحانه، وهذا مما يعزز الإيمان ويوجه الإنسان الوجهة الصحيحة من حيث توجيهه إلى الموجودات في بناء علاقة انتفاعية منها، وكذلك تبين (قيمة الإنسان في هذه الأرض، وسيادته على ما فيها من موجودات، ومنها نستطيع

أن نفهم المهمّة العظيمة الثقيلة الموكولة إلى هذا المخلوق في ساحة الوجود)[٣٦]، فتتعزز بذلك الحالة الإيمانية بقضاء الله تعالى والرضا به كما أراده سبحانه من إتباع السنن الطبيعية.

وهذا بطبيعة الحال لا ينافي السعي والعمل؛ فإنه لو لم تكن المقادير منظّمة والتدابير مرتّبة لما أفاد الجِدُّ والكدح، ولما وصل الإنسان الى كماله بسعيه، وما ذهب إليه بعض من أن الاعتقاد بالقضاء والقدر يوجب الكسل والتأخر إنما هو عناد محض، أو جهل بمعنى القضاء والقدر.

بكلمة.. أكد الإمام الرضا(عليه السلام) على الجانب الإيماني في تربية الإنسان لما فيه من الآثار التي تعزز أهمية المجال الغيبي في سلوكه، والذي يظهر جلياً في أنّ هناك قوة عظيمة بيدها مقاليد الأمور، إن (الإيمان بالله تعالى أصل العقيدة ومحورها، وأساس لغيره من عقائد الدين كالإيمان باليوم الآخر والكتب الإلهية والنبوة ونحوها، وهو أصل للالتزام بما جاء في الدين من العبادات والأخلاق والأحكام)[٣٧]، فكان أن عكف الباحث في بحثه في معلم الإيمان على هذا الجانب الذي هو أصل الإيمان وجوهره، يقوي الرقيب الداخلي – الضمير – والذي يكون نابعاً من الاعتراف باطلاع الخالق سبحانه على الأعمال، وان خوف المؤمن من جزاء الله العادل، هو الحجر الأساسي في التربية الإسلامية، فكان الإيمان كما حدده الإمام الرضا(عليه السلام) في أركانه الأربعة المتقدمة في حديثه الشريف وأثرها في بناء الإنسان في جانبه الروحي، ومقاربتها بنصوص الذكر الحكيم.

ثانياً: معالم التربية الروحية (البُعد النفسي): بعد أن اتضح مفهوم الإيمان بالله تعالى، وأثره التربوي على الإنسان، نقف هنا على معالم التربية النفسية في فكر الإمام الرضا(عليه السلام) في جزئه الثاني، الذي هو انعكاس آخر للإيمان ولكن من جهة العبد نحو الخالق العظيم وبيان أثرها الوقائي في البُعد النفسي للإنسان، مع محاولة دراستها قرآنياً وعلى النحو التالي:

١- **التوبة**: معلوم إن التوبة هي نتيجة الاستغفار، وهي الندم على الماضي والإقلاع منه والعزيمة أن لا يعود فيه، هذه يقال له التوبة، أما الاستغفار فقد يكون توبة وقد يكون مجرد كلام، يقول: اللهم اغفر لي، أستغفر الله، لا يكون توبة إلا إذا كان معه ندم وإقلاع يعني من المعصية وعزم أن لا يعود فيها، فهذا يسمى توبة ويسمى استغفار، فالاستغفار النافع المثمر هو الذي يكون معه الندم والإقلاع من المعصية والعزم الصادق أن لا يعود فيه، هذا يسمى استغفار ويسمى توبة.[٣٨] فالمقصود أنه نادم غير مصر، يعني يتكلم يقول: اللهم اغفر لي أستغفر الله وهو مع هذا نادم على السيئة يعلم الله من قلبه ذلك، غير مصر عليها بل عازم على تركها، فهذا إذا قال أستغفر، أو اللهم اغفر لي، وقصده التوبة والندم والإقلاع والحذر من العودة إليها فهذا توبته صحيحة.

وهو المراد في قوله جل وعلا : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٣٩].

فنلحظ هنا عمق الصلة الروحية بالله سبحانه، والتربية الإيمانية التي تجعل (من الاخطاء الطارئة التي يفعلها الإنسان في معصيته لله، مجرد حدثٍ عابرٍ لا يمتد في حياته ولا يستمر، بل يتحول الى ندم عميق يبعث في النفس حالة الخشوع التي تدفع الى الاستغفار والتوبة ولإنابة الى الله، ...، وقد أكدت الآية بطريقة الجملة الاعتراضية، أن الله يغفر الذنوب التي يتوب منها الإنسان)[٤٠].

فالإنسان المتقي إذا ما أذنب لجأ إلى الله وأناب واستغفر، ومن ثم يرتقي هذا الإنسان في روحه ببناء تربوي غير منقطع، وهذا واضح جلي في فكـــر

الإمام الرضا (عليه السلام) التربوي، إذ يقول(عليه السلام): (.. وأحب العباد إلى الله عز وجل الموقنون التوابون)[٤١].

إذ التوبة أول مقامات الدين ورأس مال السالكين ومفتاح استقامة السائلين ومطلع التقرب إلى رب العالمين ومدحها عظيم وفضلها جسيم، وحُب الله عز وجل للتوابين واضح في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٤٢]، فعودة هؤلاء التوابين المتطهرون إلى الحضرة القدسية تدلل بوضوح على عمق إيمانهم لما (يختزنون في أعماقهم الإيمان بالله والمحبة له والالتزام بطاعته، من دون أية حالة للتمردّ التي تتنافى مع الإحساس بالعبودية، وهم الذين لم تنطلق معصيتهم في خطيئاتهم من جحود بالله، ولا استهانة بعقوبته، ولا تهاون بوعيده، ولا استخفاف بأمره ونهيه ... بل انطلقت من غفلة العمل وثورة الغريزة)[٤٣].

وبعد أن اتضح حب الله سبحانه للتوابين، يتضح أيضاً أن لهذه التوبة شروطاً نصت عليها آيات الذكر الحكيم نلتمسها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤٤]، فعند رؤية بعض معالم الموت وتنكشف للمذنب عاقبة أمره في الآخرة، فهنا لا يتحقق قبول التوبة، وقد أشار الإمام الرضا (عليه السلام) إلى هذا المعنى عندما سُأل عن علة إغراق فرعون وقد آمن به واقر بتوحيده؟ فقال (عليه السلام): (إنه آمن عند رؤية البأس وهو غير مقبول)[٤٥] .

إذ إن هذا الإيمان ليس إيماناً حقيقياً معتمداً على الغيب الإلهي، بل على المشاهدة المحسوسة، وهذه المشاهدة الأخروية للمذنبين وحال مصيرهم، وهذا أشبه ما يكون فيه حال المذنبين اليوم (الذين شاهدوا أعواد المشنقة وأحسوا

بالحبل على رقابهم ندموا على جرائمهم وأفعالهم القبيحة، فمن الواضح انّ مثل هذه التوبة وهذا الندم لا يعد فضيلة، ولا مفخرة ولا تكاملاً، ولهذا لا يكون اي تأثير)[٤٦] له في البناء الروحي للإنسان أو وقايته من الانحراف.

من خلال ما تقدم نلحظ البناء التربوي للروح وتهذيبها بمعاير الإيمان والتقوى، يجعل الإنسان المؤمن يتأمل جلياً في هذا المعاني وهذه المعالم المفيدة التي توجهه إلى الرجوع إلى الله تعالى بالاستغفار، والمسارعة إلى مغفرة الله وجنته الموعودة للإنسان المؤمن .

٢- العبادة: تُعد التربية العبادية الدعامة الأساسية في توثيق الصلة بالله عز وجل، فآثار العبادات على الإنسان مما لا يخفى، إذ (لكل عبادة من العبادات وكل منسك من المناسك الشرعية، فضلاً عن أنَّ لها صورة أخروية وملكوتيه، بها تقم عمارة الجنة الجسمانية وقصورها، وتهيئة الغلمان والحور طبقاً للبراهين والأحاديث[٤٧] فإن لكلّ عبادة من العبادات أثراً يحصل في النفس، مما يقوي الإرادة شيئاً فشيئاً ويصل بقدرتها إلى حد الكمال)[٤٨].

والعبادة إذعان العبد والخضوع والتذلل لخالقه ﷻ بغاية المحبة والتعظيم (والخضوع له والتقرب إليه سبحانه والخلوص لوجه الكريم)[٤٩] .

فنلحظ أن من الزم مقتضيات العبادة يجب ان تكون خالصة لوجهة الله تعالى، وقد صرح القرآن المجيد بعظمه العبادة بان الله عز وجل جعلها الغاية من خلق الخلق فكانت الغاية الكبرى والمهمة الجسيمة التي أمر الإنسان بتنفيذها على الوجه التي أرادها المشرع الحكيم، ورغب إليها سبحانه وحث على إتيانها .

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[٥٠]، والله سبحانه في غاية الخلق أراد الإكرام لعباده من خلال إثابتهم و(تعريضهم للثواب، لا يحصل إلا بأداء العبادات، فصار كأنه سبحانه خلقهم

للعبادة، ثم إنّه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض، ويكون كمن هيأ طعاماً لقوم ودعاهم ليأكلون، فحضروا ولم يأكلهه بعضهم، فإنه لا ينسب إلى سفه ويصح غرضه، فإن الأكل موقوف على اختيار الغير، وكذلك المسألة فان الله إذا أزاح علل المكلفين من القدرة، والآلة، إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً)[٥١] .

فيبدو جلياً الحث القرآني على أهمية الإتيان بالعبادة والالتزام بها، ومن ذلك نلحظ قول الإمام الرضا(عليه السلام) وهو يربط نعمة الرزق بإتيان العبادة المفروضة مع الله سبحانه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[٥٢]: إذ قال (عليه السلام) في تفسيرها: (الملائكة تقسم أرزاق بني آدم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فمن ينام فيها ينام عن رزقه)[٥٣] .

فالإمام (عليه السلام) يوضح أن الله سبحانه غني عن العباد، وانه لم يأمرهم بالعبادة لاحتياجه إليها، بل انّ منفعة العبادة عائدة إلى الإنسان، وذلك بما تضفيه عليه من آثار دنيوية، ومصداق ذلك نلمسه في الحرمان الذي يصيب الإنسان الممتنع عن الإتيان بالعبادات، ولعل دقة تعبير الإمام (عليه السلام) عن الأمر المحروم منه بالرزق، يوحي بعموم هذه الكلمة، وسعتها الشاملة للدارين بكل ما يفهم من نعيم، وهكذا يخاطب الإمام (عليه السلام) النفس الإنسانية ويحثها على إتيان العبادات لتحقيق الصلة مع خالقها وتهذيب غرائزها وتقيد جماحها، ومن ثم تسمو عن رذائل الأخلاق، وتتحلى بشمائل الصفات، وتتجسد فيها تلكم الآثار المتنوعة التي تفضيها سائر العبادات الأخرى وتتكامل في صناعة الإنسان بعد ان يحدث التفاعل الحقيقي من حيث النسبة والقول والعمل.

فالواجب على كل إنسان مسلم إذا مارام تربية نفسه ان يعلم انه ما خُلق إلا للعبادة، وان وقته يجب ان يكون في عبادة، سواء ما كان في الشعائر التعبدية أم ما كان منه في المعاملات أم في سائر سلوكياته وأفعاله و(السبيل الصحيح الوحيد هو أن تتحول كل الفعاليات الحياتية المختلفة في ظل القصد

والنية إلى عبادة، وتمنح وجهة تكاملية، لكي لا تذهب أي طاقة من طاقات الإنسان هدراً)[٥٤] وتكون قرب إلى الله تعالى.

ولكي تؤتي هذه العبادة أثرها التربوي وتجني ثمارها الظاهرية هو الإخلاص في النية لله سبحانه وتعالى، إذ الإخلاص هو(أساس الدين ودعامته التي يرتكز عليها في عملية تثبيت الإنسان في خط الإيمان والانفتاح على الله تعالى)[٥٥].

٣- **خلوص النية:** وفي بيان أهمية تربية الإنسان الروحية وعظم ارتباط العمل بالنية، وان العمل هو ترجمان النية يقول الإمام الرضا (عليه السلام): (لا عمل إلا بالنية)[٥٦]، فلا يمكن ان تقبل الأعمال ويثاب عليها الإنسان إلاّ إذا كان قاصداً بهذا العمل القربة إلى الله تعالى، بل إن النية تكون أفضل من ذات العمل العبادي، وهذا مانلحظه في قول النبي (صلى الله عليه وآله): (نية العبد خير من عمله)[٥٧] .

فالعبادة تحتاج – كما تقدم – إلى خلوص في النية ولا يمكن ان يكون هناك عمل إلا ومعه نية تقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا ما تكاسل الإنسان عن بناء روحه وتجاهل النية وإخلاصها وقع في المحذور، وتحول اجر عمله من الثواب إلى العقاب مع كون العمل هو ذات ظاهر العمل، إلا إن النية أصابها الانحراف من ان تكون متوجه إلى الله سبحانه والقرب منه إلى غيره ممن لا يضر ولا ينفع، وهذا ما قرره الإمام (عليه السلام) ونقرأه في فكرة الشريف، إذ يقول محذراً من الرياء والسمعة: (اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل ويحك ما عمل احد عملاً إلا أراد الله به إن خيراً فخيراً وان شراً فشراً)[٥٨].

ومن ذلك ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥٩]، فهذا ذم من الله سبحانه إلى الذين اختلط عملهم جراء فساد نيتهم، وهذا الفساد ينم على ان إيمان هؤلاء إنما هو إيمان شكلي ظاهري غير

نابع من ذات نفوسهم لما شاب النية من انحراف عن نية الإخلاص والقرب من الله سبحانه، يقول الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) في تفسيرها: (يعني ان المنافقين لا يعملون شيئاً من أعمال العبادات التي أوجبها على المؤمنين على الوجه القربة إلى الله، لأنهم غير موقنين بها، ولا انّ لهم عليها ثواباً أو إتيان عقاباً)(٦٠).

ونلحظ التأكيد على ضرورة إخلاص النية في القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٦١)، فهذا الإخلاص بالنية شرط لتحقق الدعوة إلى الله سبحانه – والدعوة إلى الله لا تقف على حد القول فالأعمال أيضاً دعوة إلى الله سبحانه – وان الإخلاص عامل أساس في قبول الأقوال والأعمال، كما إن عوامل الانحراف عن النية وخلوصها كثيرة كان التأكيد من (ربنا على ضرورة الإخلاص له في الاعتقاد بعيداً عن كل عوامل الشرك، ولأن الضغوط التي يواجهها المؤمن الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية من قبل الآخرين من أهم تلك العوامل وابلغها أثراً خصصها بالذكر)(٦٢) للمحافظة على صلاح أعماله والانتفاع من ثمارها على صعيد حياته اليومية، فيعمل على مجاهدة نفسه وتلكم الضغوطات ويسمو بها .

إذن للعبادة ثمار تربوية على الإنسان، وان هذه العبادة لا يتحقق الرجاء منها! إلا إذا كانت خالصة النية لله تعالى، والنية تجعل من الأعمال المباحة أعمالاً عبادية يثاب عليها الإنسان إذا قصد من وراء هذا العمل القرب من الله تعالى وعبادته سبحانه، وقد أكد هذا المعنى الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وحث على وجوب هذا الترابط بين العمل والنية، وان الأعمال وان كانت موفية لشروطها في الظاهر تكون فاسدة عديمة الجدوى إذا كانت منحرفة النية، ومن ثم يعاقب الإنسان على أعماله المنصوص عليها، بما شاب هذا العمل من رياء أو نفاق وما شاكل ذلك، فكان (عليه السلام) (ينطلق في حلمه وعفوه وعطفه على المساكين والمعذبين من أصالة الخير التي انطوت عليها نفسه كان

ينطلق منها ومن إحساسه بأن العطاء ليس معروفاً فقط يسديه الإنسان لسائله وللمعوزين بل هو بالإضافة إلى ذلك شكر للمعروف الذي حباه الله به)[٦٣]، وملحوظ مسبقا أنّ (كل ما أفاده (عليه السلام) يستفاد من القرآن الدال على أن نزول البركات العينية والعلمية مشروط بالتقوى وإخلاص العمل لله، وممنوع بالذنب والإعراض عن ذكر الله ونحو ذلك)[٦٤]، وبهذا المعنى المفهوم من فكر الإمام (عليه السلام) تُهذب النفس الإنسانية، وتعنى بالنية التي هي أساس العمل، فأي عمل لا يبنى على أساس متين يكون هشاً ووبالاً على صاحبه ويحرم من الرزق بمفهومه الواسع الذي أشار إليه الإمام(عليه السلام).

ومن خلال ما تقدم من – المعالم التربوية الروحية في جزئيها – تتضح ثمار هذه المعالم الروحية على الإنسان وبنائه التربوي وذلك بتحقق الهداية الخاصة التي تتمثل في انشراح الصدر، والصدر المشروح هو الصدر البصير، كما أن الصدر الضيّق هو الصدر الأعمى عن الحقائق، فمن أراد الله سبحانه أن يشرح صدره، يقول له: كن مشروحاً، فيكون كذلك، إذ لا رادّ لإرادته، كما لا مجال لصيرورة الصدر بصيراً وشاهداً بالفعل، ولا يكون هناك أمر موجود مشهود للصدر المشروح، وان لا يراه الصدر الضيّق الأعمى.

وهذا الشرح هو نور خاص إلهي، به ينظر المؤمن الى العالم من غيبه وشهادته، كما رُوي عن الامام الرضا(عليه السلام) عن آبائه عن الإمام علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (المؤمن ينظر بنور الله)[٦٥]، ولعل هذا المؤمن المشروح الصدر بالهداية الموصلة الى المقصد، أكرم على الله سبحانه من ملك مقرّب، كما ذكر ذلك الامام الرضا (عليه السلام)، إذ قال: (إن المؤمن يعرف في السماء، كما يعرف أهله وولده، وإنه لأكرم على الله من ملك مقرّب)[٦٦].

وقد بيّن القرآن الكريم، أن هذه الهداية الخاصة إنما تتحقق بشرح الصدر وتوسعته في قبال ضيق الصدر وتعميته، حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ

يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦٧]، فالانشراح هنا هو ان الله سبحانه يضع في طريق السالكين طريق الحق والباحثين عن الإيمان مصابيح مضيئة لكيلا يضيعوا في ظلمات الطريق، يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: (إنّ الله سبحانه عند هدايته عبداً من عباده ييسط صدره فيسع كل اعتقاد حق وعمل صالح ويقبله بلين ولا يدفعه بقسوة وهو نوع من النور المعنوي الذي ينور القول الحق والعمل الصالح وينصر صاحبه فيمسك بما نوره فهذا معروف يعرف به الهداية الإلهية)[٦٨].

فإذا شرح الله صدر المؤمن، السالك الى الله بقدمي الإيمان والعمل الصالح وأراه من آياته وعلّمه من لدنه علماً خاصّاً لا يتعداه العمل ولا يتبدل بالجهل ولا يغشاه النسيان ولا يغطّيه السهو ولا يداخله الوهم ولا يتطرق إليه الخيال، تنفجر الحكمة من قلبه على لسانه، كما قال الامام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن الإمام علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ما أخلص عبد لله عز وجل أربعين صباحاً إلاّ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)[٦٩]، وبطبيعة الحال في توجيه هذا الحديث الشريف هو أن لا خصيصة للسان، بل المراد هو انفجار ينابيع الحكمة التي هي خير كثير من جميع شؤون حياته الطيّبة، سواء في ذلك اللسان وغيره؛ لأن جميع القوى المدركة والمحرّكة مجاري فيض القلب وتابعة له في الكمال والنقص، فإذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت، ولا تأتمر إلا بأمره ولا تنتهي إلا بنهيه؛ لأنه إمام لها أخذاً وتركاً، ولا مجال لاستقلالها وغنائها عنه، كما لا مجال لافتقارها الى غيره.

المطلب الثاني

معالم التربية الاجتماعية في فكرة الإمام الرضا(عليه السلام) – دراسة قرآنية-

كان الجهد الأكبر للأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) موجهاً إلى تهذيب النفوس وبناء الشخصية السوية عن طريق تربية صالحة رسمها الله سبحانه، فكانوا مع كل من يواليهم يبذلون قصارى جهدهم في تعليمه الأحكام الشرعية وتلقينه

المعارف المحمدية، ويعرفونه ماله وما عليه، ليحققوا من بناء الفرد بناء المجتمع إذ إن الفرد هو نواة المجتمع ومن ثم يتحقق البناء الاجتماعي من خلال بناء الفرد بالآخر، والفرد بالمجتمع ككل، وهذا ما سوف نلحظة في الفكر التربوي للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، ونظراً إلى الموسوعة الحديثية للإمام (عليه السلام) النابه عن فكره التربوي؛ سوف نعكف على تحليل حديث واحد من أحاديثه الشريفة بما ضم من معالم تربوية مهمة وجامعة، وهي مداراة الناس والعفو عنهم والصبر، وكتمان السر، فنلحظ كل هذه المعالم التربوية في فكر الإمام(عليه السلام) وكيف ربط الإيمان بالتربية الاجتماعية، وجعلها نتيجة له، وهو في قوله (عليه السلام): (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال سنة من ربه وسنة من نبيه وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان سره، قال الله عز وجل: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٧٠]، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فان الله عز وجل أمر نبيه بمداراة الناس، فقال: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ)[٧١]، وأما السنة من وليه الصبر في البأساء والضراء ما قاله تعالى: (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[٧٢])[٧٣]. مضيفين إليها حديث في الأخوة وصلة الرحم لما له من مناسبة في مطلبنا هذا، وعلى النحو الآتي:

أولاً : كتمان السر :

نجد إن الإمام (عليه السلام) يحث على كتمان السر، ويربي عليه الناس، لما فيه من أهمية بالغة في ترابط لحمة المجتمع، وكذلك عدم إفشاء الفاحشة فيه جراء القيل والقال، ومن ثم توارث الشحناء والبغضاء بين أفراده .

واليوم نلحظ أنّ أكثر مشاكلنا تتأتى من إطلاق العنان للسان من دون ضوابط، وان كثيراً من الناس يرغب في الكلام أكثر من العناية بفن الاستماع، وقد نهى القرآن المجيد عن إفشاء الأسرار، وحث على ستر العيوب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧٤]، إذ إنّ كشف السر – العيب – تسيء إلى حرمة المجتمع، والجرأة على ارتكاب المعاصي، ولهذا (اوجب الإسلام ستر العيوب والسبب في ذلك هو ما تقدم من الحيلولة دون انتشار الذنوب في المجتمع، واكتسابها طابع العمومية والشمول)[٧٥]، ومن اجل الترهيب من إفشاء السر، والترغيب على كتمانه في سبيل بناء المجتمع الإنساني القويم، نجد أنّ الإمام يستعمل هذا الأسلوب في التربية، يقول (عليه السلام): (المذيع بالسيئة مخذول والمستتر بالسيئة مغفور له)[٧٦]. فجعل (عليه السلام) قبال إذاعة السر الخذلان، وقبال الستر المغفرة .

وكذلك يجعل الإمام (عليه السلام) علاجاً تربوياً لهذه العلة (إفشاء السر) ، لما بدا لهذه العلة من أخطار وخيمة على المجتمع، فنلحظ أنّ الإمام (عليه السلام) يعالج هذه الرذيلة بالابتعاد عن القيل والقال، والتزام الصمت والاعتصام به، في حالات الانفعال أو المواقف الحرجة، ولقد أشاد الإمام (عليه السلام) بالصمت فهو عنده من علامات الفقه وباب من أبواب الحكمة ويرى بان له معطيات اجتماعية عديدة، فقال (عليه السلام) في علامات الفقيه: (الحلم والعلم والصمت إن الصمت باب من أبواب الحكمة، ان الصمت يكسب المحبة، انه دليل على كل خير)[٧٧] .

ولا عجب ان الصمت مما يرتجى منه صفاء النفس والعقل عن المشاكل، واللسان المهذار احد الأسباب التي تكدر صفو العلاقات الاجتماعية، وإطلاق العنان للسان كثيراً ما يحصل منه العثرات والزلات ومما لا يحمد عقباه .

وإذا كان ولا بد من القول لأي سبب منه، فإن الإمام (عليه السلام) يردف قوله التوجيهي إلى اختيار من هم أهل للاستماع، وأهل الحكمة والمشورة، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى هذا، الإرشاد عندما أردف قوله بقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[٧٨]، وفي ذلك دلالة واضحة على

أهمية كتمان السر، وكذلك على أهمية اختيار من يُفضي إليه السر، وفي ذلك تخلق بأخلاق الله سبحانه .

ثانياً : مداراة الناس:

لعل من أهم عوامل البناء الاجتماعي بين الأفراد هو رعاية الناس والتلطف بهم، فهذا مما يبعد عن الشحناء والبغضاء، ويشد من أواصر المحبة بينهم، فتتوثق عرى الوئام .

وان هذه المداراة لا تقف عند حدٍ معين، فهي شاملة لجميع شؤون الحياة، بصغيرها وكبيرها، وبجميع فئات المجتمع، المعلم وتلميذه، الرئيس والمرؤوس رب الأسرة وأسرته،...، والعلاقة متبادلة بين هذه الأطراف .

وفي ترسيخ هذا المفهوم التربوي نلحظ أنّ الإمام (عليه السلام) يبلغ في التشديد عليه بان اقترن بالفرائض وعلى وجه التأكيد والأهمية من حيث الثمار التي يمكن أن تجنى منه، فنلحظه (عليه السلام) يقول: (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إني آخذك بمداراة الناس، كما آخذك بالفرائض)[٧٩].

فهذه المداراة ضرورية لاندماج الفرد بالمجتمع فـ(أي فرد لا يمكن أن ينجح في حياته في المجتمع إذا عمل لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية، ولا يمكن ان تنجح حياته أيضاً إذا عاش حياة منعزلة فإن حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة بما يصاب به في النهاية من أمراض نفسية)[٨٠] ونرجسية مقيته تتأزم بها بنية المجتمع وتتفكك أواصره وتسوده الأنانية، فكانت التربية على مداراة الناس والعناية بهم من أسس الدعوة المحمدية عموماً .

ونلحظ هذه الأهمية واضحة في القرآن المجيد، وتوجيه النبي(صلى الله عليه وآله) إلى بيانها بصورة عملية، وهو فيما استشهد به الإمام (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[٨١]، فمهمة الإنسان الرسالي أن يتعامل مع الناس بصورة مباشرة، إذ إن فلسفة التربية لا تقف عند حد التنظير، بل ترسم (خطاً عملياً

للتعامل مع الناس في أجواء الدعوة، في ما يواجهه من حالات التشنج والتمرد، لان المسألة لدى الرسول أو الداعية ليست مسألة مزاج يبحث عن منفذ للتنفيس، ولكنها مسألة دعوة تفتش عن مدخل إلى فكر الآخرين للحصول على قناعاتهم، ... ، فلا بد من إتباع الأسلوب الذي يتحرك بالتوازن في عرض الفكرة، وبالتسامح في مواجهة ردود الفعل، وبالتسهيل والتيسير في إعطاء المسؤوليات ...)[٨٢] .

ومن اجل هذا البناء الاجتماعي وديمومته جعل الإمام (عليه السلام) التواصل مع الناس نصف العقل، إذ قال الإمام (عليه السلام): (التودُّد إلى الناس نصف العقل)[٨٣]

وأدنى تدبر في مقولة الإمام (عليه السلام) يتضح جلياً التشديد على هذا الخلق وما يضيفه من اثر في التعامل اليومي للناس، ولعل موقفاً واحداً من واقعنا يكفينا من التماس شواهد أخرى، والأمر موكول إلى القارئ للتجربة، فيلحظ البعد الايجابي في ترميم العلاقات الإنسانية عموماً والإسلامية منها على وجه الخصوص، فيشيع بالتالي جو من الحب والتواد مما لا توفره أنظمة وقوانين .

وهذا بطبيعة الحال لا يتأتى إلا من خلال التربية العملية، ومداراة قابلياتهم النفسية والجسدية معاً، وهكذا يستطيع المسؤول أن يحقق الأهداف الكبرى، وتسير عجلة الحياة الأسرية منها كمؤسسة اجتماعية أولى، وكذلك المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وبهذه المداراة يتجنب المجتمع إرهاصات الخلافات وأزماتها، ومن ثم تتربى في (كل فرد من أفراد هذا المجتمع روح التعلق بالجماعة وعدم القيام بأي عمل من شأنه أن يضر هذا المجتمع أياً كان لون هذا الضرر أو شكله، وانه يُؤثر مصلحة المجتمع على مصلحته الخاصة)[٨٤]، جراء رسوخ القناعة ومما ناله من مداراة الداعية إلى الفكرة أو المشروع البنائي، وهذه النتيجة تحتاج إلى كثير من الحكمة والدراية، كما نحصل على هكذا تربية بنائه تجمع التنوع والتعدد في بوتقه واحدة، وخلق مجتمع متعايش وسلمي .

ثالثاً : الصبر :

تقدم أنّ الصبر من معالم التربية الإيمانية، وهذه التربية لا تقتصر على العلاقة مع الجانب الغيبي، بل هي عملية حركية أيضاً في الجانب الاجتماعي، إذ إن الإنسان الصبور الحليم في الجانب الاجتماعي هو الذي لا يعجل العصاة بالنقمة، بل يعفو أو يؤخر(٨٥) .

وقد شدد الإمام (عليه السلام) على التمثل بهذه التربية المهمة ، وإنها من خلال الأولياء الصالحين، فقال (عليه السلام): (وأما السنة من وليه الصبر في البأساء والضراء) – حديث متقدم – ولا يمكن أن نتصور بحال من الأحوال مجتمع لا يتمتع بنسبة معينة من الصبر، إذ إن هذه التربية السامية اتفقت عليها الأجناس البشرية عموماً، وأكدتها الشرائع السماوية، واقرها الحكماء، إلا إن لديننا القويم من اجل بناء مجتمع سعيد مترابط أكد كثيراً على ضرورة هذه التربية، كما أنها ليست مما يسهل التخلق بها، فهي خلاف الشهوة الحيوانية الميالة إلى الثورة وردة الفعل الآنية .

فكان أن شجع القرآن المجيد على إلزام هذه التربية في آيات عديدة منها ما استشهد به الإمام (عليه السلام)، وهو قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(٨٦).

فهنا دعوة واضحة على التخلق بالصبر، وعدم الخروج عن طور الحكمة والأناة عند حدوث ما لا يوافق النفس ورغباتها، ومن ثم التحلي برفيع المبادئ و(الثبات على الشدائد حين تهاجم المصائب أو مقارعة الأقران)(٨٧)، واحتمال المكاره من غير جزع أو قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامرَ ونواهٍ، هو (دليل رجاحة العقل وسمو الخلق، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه وسبب الظفر والنجاح والدرع الواقي من شماتة الأعداء والحساد)(٨٨) والتهور الذي كثيراً يكون مما لا تحمد عقباه، ويخلفه ندم اشد من تحمل الإساءة المفضاة إليه، ولآت حين مندم .

والتمثل بهذا الخلق (الصبر) يحتاج إلى تربية مستمرة، ومراقبة الإنسان لسلوكه و(تدريب الإرادة بممارسة أعمال الضبط في ظروف الثورة والهيجان النفسي وبمقاومة الرغبات النفسية الشهوية)[٨٩] .

وأمثلته العملية كثيرة، يختصر الباحث هنا على علاقة التجاور وآدابه، وهو مما يبتلى به المجتمع إذا ما راعى حكمة الصبر، يقول الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله): (ليس حسن الجوار ان تكف أذاك عن جارك، بل حسن الجوار أن تحتمل أذى جارك)[٩٠]، فكان الصبر السمه البارزة لحسن الجوار، وهذا التأكيد مما يعزز أواصر المجتمع الإيماني، ويدعو إلى التحلي بهذه الفضيلة التربوية الخطيرة .

رابعاً: **الإخوة** :

الإخوة في الله تعالى من أوثق روابط النفوس، وامتن عرى القلوب، وأسمى صلات العقول والأرواح، لأن الإخوة الإيمانية جزء لا يتجزء من المنظومة الإسلامية المتكاملة التي تربط بين قلوب معتنيقها بأواصر لا تنفصم .

فكان الالزام واضح الدلالة على التربية الأخوية بين بني الإنسان، في الإرشادات الإسلامية، والترغيب على هذا المعنى، وربطه بالسعادة الأبدية في العالم الآخر، وهذا ما نلمسه في فكر الإمام الرضا (عليه السلام) وهو في معرض التشجيع على ان تكون هذه الرابطة (الإخوة) ذات صلة جذرية بالله تعالى، وأساسها الذي تبنى عليه، إذ يقول (عليه السلام): (من استفاد أخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة)[٩١] .

وظاهرة العلاقة ما بين الإفادة الأخوية في الدنيا والبيت في الجنة هو أنّ هذه الإخوة معقودة بعقيدة الإيمان بالله تعالى، ومن ثم فهي لا ترمي لمصلحة شخصية، أو لموقف عابر، أو لامتياز دنيوي زائل بزوال المؤثر، بل هو ثابت بثبات الإيمان، الإيمان الذي يتحرك باتجاه الأهداف الموصلة إلى بناء مجتمع متعاون لا غاية فيه إلا غاية الإخلاص لله تعالى، وفي جاذبية (إيمان وإخلاص

إلى إخلاص لا انجذاب تاجر إلى تاجر وبائع إلى مستهلك لأنها تستمد وجودها وقوتها من الله)[٩٢] تعالى .

وهذا المعنى واضح الدلالة في نصوص القرآن المجيد، ولعل ابرز آية فيه ما نلمسه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٩٣]، وفي تقريب هذا المعنى إلى الأذهان والفطرة، نلحظ إن الإمام (عليه السلام) وهو في معرض تفسير هذه الآية المباركة، يقول: (المؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه)[٩٤]، مشيراً بهذا التقريب الفطري ليؤكد (بان الإيمان الذي لا يرفع المنتمين إليه إلى حالة الأخوة إيمان ضعيف ناقص، فها هنا تقاس التقوى، وتمحص النفوس للإيمان، ويستبين الصادقون عن المنافقون)[٩٥] .

وفي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) كثير من الروايات الحاثة على ترسيخ هذا المبدأ التربوي في المجتمع، منها على سبيل المثال قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يغتابه ولا يخونه ولا يحرمه)[٩٦]، وعنه(عليه السلام): (المؤمن اخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدةً فيخلفه)[٩٧] .

ولهذا العمق الوجداني والفطري الذي تضفيه كلمة إخوة في العلاقات الاجتماعية، يتضح سبب اختيارها – الإخوة – في أدبيات المنظومة الإسلامية، دون غيرها من الكلمات، فهي تسمو على كلمة مواطنه التي تشير إلى رابط الأرض فقط أو غيرها من الكلمات المحدودة الدلالة ولا ترتقي إلى مفهوم كلمة الأخ التي اجتباها الإسلام ليربينا على (أنّ صلتنا ببعضنا ليست مادية قائمة على أساس تقدير الأرض والمصالح، كما إنها لا تخص النضال ورفاقه المسيرة، وإنما هي مبدئية ناشئة من صلة كل واحد منا بدينه، حتى ليصبح الدين كالأب الذي هو أصل وجود الابن، وكلما قويت واشتدت صلتنا بالأصل قويت وتنامت صلتنا ببعضنا)[٩٨].

إذن فمبدأ الأخوة في فكر الإمام(عليه السلام) التربوي وفق المعطيات القرآنية يمثل قيمة اجتماعية تؤدي دورها الفعال في بناء المجتمع الاسلامي، وتشكل أحد العناصر المهمة في تحقيق تماسك هذا المجتمع ورقيه.

خامساً: صلة الرحم:

وهذا المعلم التربوي الخطير هو مبدأ يترتب على البناء الأخوي في البناء الاجتماعي في مفهومه الخاص، فهذه الصلة في طليعة المبادئ الاجتماعية التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية، وذلك بالتودد إلى الأقارب فمن هم بصلة الدم وذلك بالتواصل معهم والعطف عليهم وإسداء العون المادي ودفع المكاره والشرور عنهم ومواساتهم في الأفراح والأحزان .

ونلتمس أهمية هذه التربية في فكرة الإمام الرضا(عليه السلام) وحثه عليها في قوله(عليه السلام): (صل رحمك ولو بشربه من ماء وأفضل ما توصل به كف الأذى عنها، وقال الله تعالى في كتابه عز وجل: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ﴾[٩٩])[١٠٠].

فنجد أنّ الإمام (عليه السلام) يدعو إلى التواصل الاجتماعي مع الأقارب، من غير تحديد الحد الأقصى لهذا التواصل والتراحم، في حين نلحظة (عليه السلام) في سبيل ديمومة هذا البناء التربوي يشير إلى الحد الأدنى وهو شربة من ماء، وإذا تعذر كل ذلك فإن أفضل شيء هو عدم إيذاء هذه الرحم، وعدم تحديد الإمام (عليه السلام) نوعية هذا الإيذاء وإطلاقه دليل على أهمية هذه العلاقة، وكذلك وقاية لها من الانقطاع .

وهكذا نجد إن منبع هذا الإرشاد والتوجيه من الإمام (عليه السلام) هو على خط طول مع توصيات وإرشادات العدل الآخر القرآن المجيد، وهو ما نلتمسه في قولة تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١٠١].

فنجد إن القرآن المجيد ذكر اسم الأرحام بعد ذكر اسم الله تعالى، وفي هذا دلالة فائقة على أهمية موضوع صلة الرحم، وبما إن الناس عموماً من أب

واحد وأم واحدة فأن (جميع أبناء آدم أقرباء وأرحام، وهذا الارتباط والترابط يستوجب ان يتحاب الجميع ويتوادوا دون تفريق أو تميز بين عنصر وآخر، وقبيلة وأخرى، تماماً كما يتحاب أفراد القبيلة الواحدة)[١٠٢]، وبهذه الأواصر يبنى المجتمع على التراحم والتواصل في أدنى ما حدده الإمام (عليه السلام) أو فيما اقره من كف الأذى أيضاً .

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بهذا المقدار من التربية، حتى ختم قوله الشريف بآية تحث القائمين بهذه التوصيات بحديها الأدنى والأقصى بان يكون إنفاقهم قربة إلى الله تعالى ومن ثم يتجنبون بطلان أعمالهم بعد ان ابتعدوا عن المن والأذى المصاحب لعملية الإنفاق هذه، إذ إن أعمالهم كانت لله سبحانه وفي سبيله وبهذا يكون العمل الاجتماعي (متحركاً في خط المفاهيم الإسلامية التي يعيشها الإنسان المسلم في حياته، لان ذلك هو الذي يحقق الهدف في تربية الشخصية الإسلامية ونموّها الروحي والعملي)[١٠٣].

وبكلمة هنا .. إن الإمام (عليه السلام) في فكرة التربوي – كما يرى الباحث – يبني المجتمع على المساواة بين أفراده على أسس العلاقات الإنسانية بين البشر مجردة بذلك كل الامتيازات الدخيلة على جوهر الإنسان الفرد إلا ماكسب من التقوى وحسب، وهذه ثمرة مهمة في بناء المجتمع والفرد وفق هكذا تربية، إذ تسمو روح التكافؤ والاستواء بين المؤمنين وتظل مركوزة في وجدانهم مستصحبة في معاملاتهم سائدة في حياتهم اليومية. **الخاتمة...**

من خلال هذه المسيرة البحثية في فكر الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) التربوي وبيان مصادره القرآنية، خلص الباحث إلى:

- امتياز فكر الإمام (عليه السلام) التربوي بالشمول، فهو يراعي الإنسان في جميع أبعاده، وينظر إليه من جميع جوانبه، الإيمانية والشخصية والاجتماعية، ولا يخفى بحال ان المعالم التربوية من أهم ما ركزت عليه نصوص القرآن المجيد
- ربانية الفكر التربوي لدى الإمام (عليه السلام) فهو الثقل الآخر وعِدل القرآن المجيد.

- الواقعية في الأهداف التربوية لدى الإمام (عليه السلام)، ومنسجمة مع طاقات الإنسان وسهلة التحقق في الميدان العملي، فالقرآن المجيد أول ما اشار الى التكاليف السماوية منسجمة مع قدرات البشر .
- كثير ما يعزز الإمام (عليه السلام) فكرة التربوي بنص قرآني كريم، وهو بهذا (عليه السلام) يعطي دعماً آخر لفكره التربوي، وبعداً إيمانياً وجدانياً .
- من عوامل البناء الاجتماعي هو تعزيز المداراة والعفو والصبر، لما لهذه الخلال من اثر تضفية على الترابط بين الناس، وفيها تنظيم للتواصل الاجتماعي والابتعاد عن القطيعة، إذ رتعت المجتمعات البشرية حقبة من الزمان، واكتوت فيها بويلات النظم الاجتماعية التي كانت أقرب ما تكون إلى مجتمع الغاب، التي يأكل كبيرها صغيرها، ويسحق قويها ضعيفها، حيث خلت من الروابط التي تجمع بين أواصرها، وما مجتمعنا ببدعة اليوم عن الماضي، فأكد الإمام الرضا (عليه السلام) المبادئ والقيم الإسلامية، فيما وضع من الأسس والدعامات التي تعمل على تنظيم المجتمع، وتنظيم العلاقات والمعاملات القائمة في الحياة الاجتماعية وفق المعطيات القرآنية.
- لحظنا إن الفكر التربوي لدى الإمام (عليه السلام) لا يقف عند حد الدعوة إلى العمل بل كان يعطي عامل وقائي للردع عن الانحراف والزيغ، وهكذا هو الشأن القرآني الواضح المعالم.
- ان المعالم التربوية التي تُعلي من قيمة العطاء الاجتماعي، وتحث على تجاوز الأنانيات وتعظم قيم الخدمة العامة تحتاج الى غرس الدوافع الحقيقية والعميقة الضامنة لصدق الأعمال واستمرارها؛ وهذا متمثل في فكر الإمام الرضا (عليه السلام) ومكامن النص القرآني.
- أن المعطيات التربوية المستمدة من قول الإمام المعصوم والقرآن الكريم؛ تمثل الفكر التربوي الديني، والذي هو الأساس للروابط الاجتماعية، والفكرية التي توحد العقائد، وتبعث في النفوس، الاحترام والتكريم والالتزام

بالمقاصد، فدوره لا تُدانيه كل الأدوار الأخرى، إذ هو على رأس قائمة الأسباب التي تقود التوجيه والتخطيط.

- من خلال استعراض المعالم التربوية السابقة ودراستها قرآنياً، يمكن أن نخرج بنتيجة واضحة هي أنّ القرآن الكريم استهدف من نزوله تحقيق هدف واحد رئيس، وهذا الهدف الرئيس هو إيجاد التغيير الجذري للفرد والمجتمع.

Conclusion:

Through this process of research at the thought of Imam Ali ibn Musa satisfaction (ع) and educational sources Quranic statement , summarized the researcher to:

- The privilege of thought of Imam (ع) Educational inclusive , it takes into account the rights in all its dimensions , and is seen in all its aspects , faith and personal and social , is no secret that the condition of the most important educational milestones are focused upon the texts of the Qur'an Majeed.
- Divine educational thought at the Imam (ع) is the weight of the other amended Quran Majeed.

Realism in the educational goals at the Imam (ع), and consistent with the energies of human and easy to verify in the field of practical , the Quran Majeed first pointed to the heavenly costs in line with the capacity of human beings.

- Often enhances the Imam (ع) the idea of educational text Koran cream , which is this (ع) gives further support to the idea of education , and the dimension of faith and compassion.
- Factors of social construction is to promote politeness and forgiveness and patience , because these sorts of impact liquidate the interdependence between people , and the organization of social networking and stay away from the

rupture , as Rtat human societies period of time , and have endured the scourge of social systems that were as close as possible to the community jungle , which eats large or small, and crushes strong or weak, where free of the ties that bind between its ties , and our Bbdah today about the past , he stressed Imam Reza (ع) Islamic principles and values , while the situation of the foundations and pillars that work on the organization of society , and the regulation of relations the list of transactions in social life according to the Quranic data.

-Through a review of previous educational attractions and Qur'anic study , can get out and the outcome is clear that the Quran targeted to achieve the goal of coming off one head , and this is the main objective is to create a radical change for the individual and society

ملخص البحث:

التربية تمثل الأساس لعملية الإصلاح ووسيلة مهمة لتحقيق أهداف المجتمع وفق فلسفته التي يتبناها، وان القرآن المجيد وسنة المعصوم الركيزة الأساس لهذه الأهداف.

وقد عمد الباحث في بحثه إلى استعمال معطيات من نصوص الإمام الرضا (عليه السلام) في إيضاح وتبيين الآيات القرآنية أو استعمالها – أي العناصر الداخلة في النظام التربوي – في أن نطبقها على القرآن أو في فهمها واستخراجها من آياته ومضامينها، إذ لا شك أن الغرض الأول للقرآن الكريم هو الهداية، ولا تتحقق هذه الهداية للبشرية إلا عن طريق التربية المثالية القائمة على الواقعيّات المتّسقة مع الفطرة، وجاعلاً – أي الباحث – من قول الإمام الرضا (عليه السلام) معلماً تربوياً ينطلق به في تحديد أهداف القرآن التربوية.

جاعلاً من البحث محاولة أولية في البحث القرآني للتفسير التربوي للقرآن الكريم، فكان البحث من مقدمة تناول الباحث فيها سبب اختيار موضوع

بحثه، وأهميته، والمنهج الذي عده الباحث فيه، وخطة البحث التي كانت من مطلبين الأول منها كان عن معلم التربية الروحية عند الإمام الرضا (عليه السلام) ودراستها قرآنياً، والمطلب الثاني كان عن المعلم التربوي الاجتماعي عند الإمام الرضا (عليه السلام) ودراسته قرآنيا، متلوات بخاتمة وقائمة بالمصادر.

Abstract

Education is the basis of the reform process and a means to achieve the important goals of the community in accordance with the philosophy espoused by, and the glorious Quran and the Sunnah of the infallible substrate basis for these goals. He was baptized a researcher in his research to the use of data from the texts of Imam Reza (عليه السلام) to clarify and identify the Quranic verses or use - any elements involved in the educational system - in that we apply to the Koran or in the understanding and extracted from the verses and their implications, as it is no doubt that the first purpose of the QuranQuran is a guide, not realized this guidance to humanity only through exemplary education based on realities that are consistent with common sense, and making - any researcher - from the words of Imam Reza (عليه السلام) milestone educationally stems in determining the educational goals of the Koran.

Making a search initial attempt in search of Quranic interpretation education of the Koran, was the search of the introduction researcher where the reason for choosing the subject of his research, and its importance, and a curriculum that promise researcher in it, and the research plan, which was one of the two demands first of which was for teacher spiritual education at Imam Reza (عليه السلام) The Qur'anic study, the second requirement was for teacher education at the social Imam Reza (عليه السلام) and Qur'anic studies, Mtlwat conclusion and a list of sources.

هوامش البحث

(١) هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الأثني عشر، ٣٤٤/٢.

(٢) هاشم أبو خمسين، التفسير التربوي للقرآن الكريم، ص١٢.

(3) عبد الوهاب أبو سليمان، البحث العلمي، ص٢٥.
(٤) هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الأثني عشر، ٤١٨/٢.
(٥) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١١٧/٤.
(٦) سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، ص٢٢.
(٧) تفسير من وحي القرآن، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٠.
(٨) الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ٨٠/٧.
(٩) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ١٢٩/٢.
(١٠) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤١٦/١٦.
(١١) المفيد(ت٤١٣هـ)، أوائل المقالات، ص١٨.
(١٢) سورة الحجرات، الآية١٤ .
(١٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٨٥/١٨.
(١٤) سورة غافر، الآيات ٤٤-٤٥.
(١٥) الحراني، تحف العقول، ص٣٣٢.
(١٦) سورة المائدة، الآية ١١.
(١٧) من هدى القرآن ، ١٩٦/٢.
(١٨) سورة هود، الآية ١٢٣.
(١٩) روح المعاني، ١٢/ ١٦٨.
(٢٠) انوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢٧٠/١.
(٢١) سورة غافر، الآية ٤٤. ولقد ذهب جمله من المفسرين الى القول بان التفويض هو ذات التوكل وهم في معرض تفسيرهم لهذه الآية الكريمة؛ ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٨/٤، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠٧/٢٤، القاسمي، محاسن التأويل، ٣٤٧٧/٨. وغيرهم..
(٢٢) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩٩/١٥.
(٢٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٨٨/١٧، وقريب من هذا المعنى ظ: محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، ٢٤١/٨.
(٢٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ١٣٨/٢.
(٢٥) سورة الزمر، الآية ٣٨.
(٢٦) التبيان في تفسير القرآن، ٢٥/٩.
(٢٧) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٢٨) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٨٦/١.
(❖) ستكون قراءة الباحث لهذا الركن منسجمةً مع قراءته للأركان السابقة له، وبما يتوافق مع أهداف وسبب اختيار البحث وعنوانه، بعيداً عن بيان الجانب الكلامي المرتبط به هنا.. ومن أراد التوسعة ينظر الكتب الكلامية المختصة.
(٢٩) ظ: الجرجاني(ت٨١٦هـ) ، كتاب التعريفات، ص١٤٤.
(٣٠) الكليني، الكافي، ١٨٣/١.
(٣١) فلسفتنا، ص٢٣٣.
(٣٢) سورة القمر، الآية ٤٩، ظ: سورة يونس، الآية ١٩، سورة الاحزاب، الآية ٣٧.. .
(٣٣) القاسمي، محاسن التأويل، ٣٧٨٤/٩.
(٣٤) الصدوق، عيون اخبار الرضا(ع)، ١٤١/١.
(٣٥) سورة البقرة، الآية ٢٩.
(٣٦) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١١٢/١.
(٣٧) حامد أحمد الطاهر البسيوني، الوصايا النبوية، ص٣٩.
(٣٨) ظ: الجرجاني، كتاب التعريفات، ص١٧ وص٥٥.
(٣٩) سورة آل عمران، الآيات ١٣٥ - ١٣٦.
(٤٠) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ٦/.
٤١ - الكافي ، الكليني ، ٤٩٦/١ .
٤٢ - سورة البقرة ، ٢٢٢ .
٤٣ - محمد حسين فضل الله ، تفسير من وحي القرآن، ٢٥٣/٤ .
٤٤ - سورة النساء ،١٧-١٨.
٤٥ - عزيز الله عطاردي، مسند الإمام الرضا(عليه السلام)، ٣٤١/١.
٤٦ - ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٠٨/٣ .
٤٧ - قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما اسري بي إلى سماء إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما امسكوا فقلت لهم مالكم ربما بنيتم وربما أمسكتم فقالوا تجيئنا النفقة فقلت لهم وما نفقتهم؟ فقالوا: قول المؤمن في الدنيا سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر. فإذا قال بنينا وإذا امسك امسكنا)، المجلسي، بحار الأنوار، ١٦٩/٩٠ .
٤٨ - روح الله الخميني ، الأربعون حديثاً ، ص ١٦٢
٤٩ - أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٥٠١، ظ: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣١٥/١٨.

٥٠ - سورة الذاريات ، ٥٦-٥٨
٥١ - الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ١٩٣/٩
٥٢ - سورة الذاريات ،٤.
٥٣ - الصدوق، من لايحضره الفقيه، ٥٠٤/١.
٥٤ - محمد تقي مصباح اليزدي ، العودة إلى الذات، ص ٨٩.
٥٥ - ناصر مكارم الشيرازي ، الأخلاق في القرآن ، ٢٣٢/١.
٥٦ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٧/٨١ .
٥٧ - المصدر نفسه ، ٢١٠/٦٧.
٥٨ - المصدر نفسه ، ٤٣/١٥.
٥٩ - سورة النساء ، ١٤٢.
٦٠ - التبيان ، ٣٤٨/٣ .
٦١ - سورة غافر ، ١٤.
٦٢ - محمد تقي المدرسي ، من هدى القرآن ، ٢١٥/٨.
٦٣ - هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الأثني عشر، ٣٥٢/٢.
٦٤ - عبد الله الجوادي الآملي، علي بن موسى والقرآن الحكيم، ص٧٥.
٦٥ - الصدوق(ت٣٨١هـ)، عيون اخبار الرضا (ع)، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٤م، ٦٧/٢.
٦٦ - المصدر نفسه، ٣٧/٢.
٦٧ - سورة الانعام، الآية ١٢٥. ولا يراد بطبيعة الحال هنا الذهاب الى القول بالجبر وذلك وباختصار (ان الله تعالى أنزل القرآن حجة له على عباده، لا حجة للعباد عليه، فلو كان كما قالوه لكانت الحجة عليه لا له على أنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى مناقضة)، الطوسي(ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، ٢٤٥/٤.
٦٨ - الميزان في تفسير القرآن ، ٣٠٥/٧.
٦٩ - الصدوق، عيون أخبار الرضا(ع)، ٧٥/٢.
٧٠ - سورة الجن ، الآية ٢٧.
٧١ - سورة الأعراف ، الآية ١٩٩.
٧٢ - سورة البقرة ، الآية ١٧٧.
٧٣ - المجلسي ، بحار الأنوار ،٣٠٧/٧٩
٧٤ - سورة النور ، الآية ١٩.
٧٥ - ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣٨/١١ .

٧٦ - الكليني ، الكافي ٢٤/٤٠
٧٧ - المصدر نفسه، ١١٣/٢
٧٨ - سورة الجن ، ٢٦-٢٧
٧٩ - علي بن بابوية (ت٣٢٩هـ)، فقه الرضا، ص٣٦٨ .
٨٠ - د. مقداد يالجن، دورة التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ص٥٦.
٨١ - سورة الأعراف ، ١٩٩.
٨٢ - محمد حسين فضل الله ، تفسير من وحي القرآن ، ٣١١/١٠
٨٣ - الكليني ، الكافي ، ٦٤٣/٢
٨٤ - د. مقداد بالجن ، دور التربية الأخلاقية ..، ص ٧٣ .
٨٥ - ظ: الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص ٤٢٢
٨٦ - سورة البقرة ، ١٧٧
٨٧ - محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٥٤/١ .
٨٨ - عبد الحسين راشد معارج، الروايات التفسيرية للإمام الرضا (عليه السلام) – دراسة موضوعية - ، ص ١٢٩ .
٨٩ - د. مقداد بالجن ، دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، ص ٥٣ .
٩٠ - الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ٤١٩/٨
٩١ - الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ١٦/١٢
٩٢ - محمد جواد مغنية ، تفسير الكاشف ، ١١٤/٧
٩٣ - سورة الحجرات، ١٠.
٩٤ - الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ٢٠٩/١٢
٩٥ - محمد تقي المدرسي ، من هدى القرآن ، ٣٢٧/٩
٩٦ - الكليني ، الكافي ، ١٦٧/٢
٩٧ - المصدر نفسه ، ١٦٦/٢
٩٨ - محمد تقي المدرسي ، من هدى القرآن ، ٣٢٩ .
٩٩ - سورة البقرة ،٢٦٤.
١٠٠ - الحر العاملي ، تحف العقول ، ص ٢٣٢.
١٠١ - سورة النساء ، ١.
١٠٢ - ناصر مكارم الشيرازي ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٥٨/٣
١٠٣ - محمد حسين فضل الله ، تفسير من وحي القرآن ، ٨٦/٥ .

قائمة المصادر و المراجع

* خير ما نبدأ به القرآن الكريم..

١. الجرجاني(ت٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.

٢. حامد أحمد الطاهر البسيوني، الوصايا النبوية، دار الفجر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣. الحر العاملي(١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، نشر مؤسسة آل البيت(عليهم السلام)لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.

٤. روح الله الخميني، الأربعون حديثاً، تعريب: محمد الغروي، دار التعارف للمطبوعات، ط٨، ٢٠١٠م.

٥. سيد قطب، نحو مجتمع إسلامي، دار الشروق بيروت، ط٧، ١٩٨٧م.

٦. بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع) أبو محمد بن الحسن، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٧، ٢٠٠٢م.

٧. الصدوق (٣٨١هـ) محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٨. ــــــــــــ، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم، (دت).

٩. الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مكتبة دار المجتبى، النجف الاشرف، ٢٠٠٩م.

١٠. الطوسي (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب القصير العاملي، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.

١١. عبد الحسين راشد معارج، الروايات التفسيرية للإمام الرضا (عليه السلام) – دراسة موضوعية –، رسالة ماجستير ، كلية الفقه، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٨م .

١٢. عبد الله الجوادي الآملي، علي بن موسى والقرآن الحكيم، دار الإسراء للنشر، قم المقدسة، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٣. عبد الوهاب أبو سليمان، البحث العلمي، دار المعارف، ١٩٨٧م.

١٤. عزيز الله عطاردي، مسند الإمام الرضا(عليه السلام)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا، إيران، ١٤٠٦هـ.

١٥. علي بن بابوية (ت٣٢٩هـ)، فقه الرضا، نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قسم المشرقة، ١٤٠٦، ص٣٦٨ .

١٦. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، (دت).

١٧. أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ) بن علي اكبر الموسوي(قدس سره)، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٩٨٩م..
١٨. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
١٩. الكليني محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران،١٣٦٣هـ ش.
٢٠. المجلسي(ت١١١١هـ) محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد تقي اليزدي، محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٣م.
٢١. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ١٤٢٤هـ.
٢٢. محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن ، دار القارئ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
٢٣. محمد تقي مصباح اليزدي العودة إلى الذات وبناؤها من جديد، ترجمة: محمد علي تسخيري، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، المعاونية الثقافية، إيران، ٢٠٠٩م.
٢٤. محمد جواد مغنية، الكاشف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (دت).
٢٥. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.
٢٦. محمد حسين فضل الله ، تفسير من وحي القرآن ، دار الملاك ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٧م ، .
٢٧. المفيد(ت٤١٣هـ)، أوائل المقالات،تحقيق: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
٢٨. مقداد يالجن(الدكتور)، دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية،دار الشروق، بيروت،١٩٨٣.
٢٩. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ط٢، ٢٠٠٥م.
٣٠. النوري(الميرزا)(ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام)لإحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
٣١. هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الأثني عشر، منشورات الإمام الرضا(عليه السلام)، بيروت، ط٧، (دت).
٣٢. هاشم أبو خمسين، التفسير التربوي للقرآن (المباني والاتجاهات)، مركز المصطفى (ص) العالمي للترجمة والنشر، قم، ١٤٣٢هـ.